مركز سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

بين الوعظ والفقه

أوراق علمية
221

جوال سلف
00966565412942

إعداد
فوزي بن عبد الصمد فطاني
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

salafcenter salafcenter3@gmail.com salafcenter

حاجةُ الناسِ إلى الوعظ والتذكير بالخير والحقّ على الوجه الذي يَرِقُّ له القلبُ ويبعث على العمل ماسّةٌ، فالقلوب تتأثر بما يمارسه الإنسان في حياته اليومية، بكلّ ارتباطاتها العلمية والاجتماعية؛ فكثرة التعامل مع الناس وسماع كلامهم والجلوس إليهم، مع التواصل عبر وسائل التقنية الحديثة، ومتابعة الأخبار والبرامج، إلى غير ذلك من الملهيات والمشغلات عن الطاعة والعبادة، تجعل النفوسَ تتشوَّف لساعة خَلوة يختلي فيها الإنسان بربّه، وقراءة كلامه، وتدبّر مواعظه.

والقرآن الكريم مليء بالمواعظ التي توقظ الغافلَ؛ من ذكر قصص الماضين وبيان أحوالهم، وعاقبة الظالمين وما حلَّ بهم، إلى ذكر الآخرة وما أعدّ الله فيها للمتقين من النعيم المقيم، إلى غير ذلك؛ مما يبعث النفس على العمل.

وقد تولى الله تعالى وعظَ عباده بنفسه، فقال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ به} [البقرة: 231]، وقال: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ} [البقرة: 275]، وقال: {إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} [النساء: 58]، وقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} [النساء: 66]، وقال: {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: 120]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس: 57]، وقال: {يَعِظُكُمْ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ} [النور: 17].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعظُ أصحابه، ويتخوَّلهم بالموعظة، قال ابن رجب: "كانت مجالس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عامّتُها مجالس تذكيرٍ بالله وترغيب وترهيب؛ إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين؛ كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر ويعظ ويقصّ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشّر وينذر... والتبشير والإنذار: هو الترغيب والترهيب؛ فلذلك كانت تلك

المجالس توجِب لأصحابه رقةَ القلب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة"[1].

وهكذا سار على نهجه صحابتُه الكرام ومن تبِعهم بإحسان، وإن كان بعضهم أخصّ بذلك من بعض.

وقد قيل: إن المتكلّمين على الناس ثلاثة أصناف: مذكّر، وواعظ، وقاصّ، فالمذكر: الذي يذكّر الناس آلاءَ الله ونعماءه، يبعثهم به على الشكر له، والواعظ: يخوّفهم بالله، وينذرهم عقوبته، ويردعهم عن المعاصي، والقاصّ: هو الذي يروي أخبار الماضين، ويسرد عليهم القصص، فلا يؤمَن فيها الزيادة والنقصان، والواعظ والمذكّر مأمون عليهما ذلك[2].

ويذكر الشيخ الشنقيطي ضابطًا للوعظ فيقول: "هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا"[3].

وهذه المصطلحات الثلاثة (المذكِّر والواعِظ والقاصّ) باتت تطلق على مسمّى واحد؛ لأنها متقاربة في الغرض ومساق الكلام[4].

ونظرًا لحاجة الناس الماسّة للوعظ كان العلماء يتصدّرون لهذه المهمّة أثناء تدريسهم، فلا تخلو دروسهم العلمية من موعظة وذكرى لأولي الألباب، ولم تكن الموعظة خطابًا دائمًا مستمرًّا.

---

(1) لطائف المعارف (ص: 13).

(2) انظر: شرح السنة للبغوي (1/ 305).

(3) أضواء البيان (2/ 438).

(4) انظر: القصاص والمذكرين (ص: 162)، منهج القصاص في الدعوة إلى الله من عصر الخلفاء الراشدين إلى نهاية العصر العباسي، د. عبد الله الطويل (ص: 30).

ويمكن القول: إنه في العهود الإسلامية الأولى كانت الصدارة والوجاهة الاجتماعية في المشهد الثقافيّ محصورة بطبقة العلماء، سواء المختصين في علوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير أو علوم اللغة والأدب والتاريخ أو العلوم الطبيعية من رياضيات وفلك وطب ونحوه، إضافة إلى طبقة الشعراء والأدباء، هؤلاء هم الذين يسترشد الناس برأيهم ويفتخر السلطان بمجالستهم، ويكونون واجهةً معبرةً عن حركة المجتمع وتطوّره العلمي والأدبي والاجتماعي، في حين كان يُنظر إلى الوعّاظ على أنهم حالة طفيلية تحوم حول تخوم المشهد العلميّ، تحاول أن تأخذ جزءًا من قيمة العلماء وصدارتهم عبر إنتاج خطاب هزيل فقير علميًّا، متخَم عاطفيًّا، مليء بالإنشاءات اللفظية الفارغة من أيّ مضمون يستحقّ الذكر أو الاعتبار[1].

وكان حديث العلماء الأوائل في قضايا الوعظ والزهد والرقائق والأخلاق يخرج ضمن مشاريع علمية جليلة؛ ككتاب (الزهد) للإمام أحمد، و(الزهد والرقائق) لابن المبارك، وكتب ابن أبي الدنيا، وغيرها.

وهكذا نرى أن هجومَ العلماء على الوعاظ لم ينشأ إلا متأخّرًا؛ وذلك حين تحوَّل الوعظ إلى فنّ مستقل بذاته، ومارسه طائفة من غير بابته، وخرجت عن مسالكه السليمة، وأدخلت فيه منكرًا من القول وزورًا.

الفقه والوعظ:

قال ابن الجوزي (ت: 597هـ): "كان الوعاظ فِي قديم الزمان علماء فقهاء، وَقَدْ حضر مجلس عُبَيْد بْن عمير عَبْد اللهِ بْن عُمَر رَضِيَ اللهُ عنه، وكان عُمَر بْن عَبْدِ الْعَزِيز يحضر مجلس القاص، ثم خسّت هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال، فبعُد عَن الحضور عندهم المميَّزون من الناس، وتعلَّق بهم العوامّ والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم، وأقبلوا عَلَى القصَص وما يعجب الجهلةَ،

(1) مقال: الوعظ.. المهنة المحتقرة في التراث الإسلامي، للرشيد، منشور في صحيفة عكاظ، عام 2016م.

وتنوَّعت البدع فِي هَذَا الفن"[1].

ومما يبيّن أهمية الفقه خصوصًا والأخذ بحظّ من العلم الشرعي عمومًا للواعظ: تعرض الواعظ لقضايا تمسّ حاجة الناس في أمور كثيرة من نواحي الحياة؛ كالنظر إلى علاقة الدنيا بالآخرة، وعلاقة الزهد بالغنى، وعلاقة النصر بالأخذ بالأسباب، وعلاقة الفرائض بالنوافل، وعلاقة الطاعة بالغلوّ، وعلاقة الولاء بالبراء وكيفية المواءمة بينهما، وعلاقة الأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر، إلى غيرها من العلاقات المعقَّدة التي يراعى فيها إعمال المقاصد ومراعاة تغير الأحوال والأعراف.

ولهذا كانت مجالس الوعظ والتذكير مما تشترك فيه علوم الشريعة، فلا يستقلّ بها علم منها، كما قال الذهبي (ت: 748هـ): "الوعظ فنّ بذاته، يحتاج إلى مشاركة جيّدة في العلم"[2].

ومما يبين حاجَة الواعظ إلى سائر العلوم ما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي حيث قال: "فينبغي للواعظ أن يكون حافظًا لحديث رسول الله، عارفًا بصحيحه وسقيمه، ومسنده ومقطوعه ومعضله، عالمًا بالتواريخ وسير السلف، حافظًا لأخبار الزهاد، فقيهًا في دين الله، عالمًا بالعربية واللغة، فصيح اللسان، ومدار ذلك كله على تقوى الله عز وجل، وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب"[3].

الاحتساب على الوعظ:

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقوم بالحسبة على الوعظ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: انتهى عليٌّ إلى رجل وهو يقصّ، فقال: علمتَ الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هَلَكت وأهْلَكْت[4].

---

(1) تلبيس إبليس (ص: 111).

(2) زغل العلم (ص: 49).

(3) كتاب القصاص والمذكرين (ص: 182).

(4) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (ص: 4)، وصححه ابن مفلح في الآداب الشرعية (2/ 184).

وعن عابد بن عمر أنه قال لقاص: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: فعلام تقصّ على الناس وتغرّهم عن دينهم وأنت لا تعرف حلال الله من حرامه؟![1].

ولا شكّ أن مفهوم النسخ عند المتقدمين أوسع وأشمل من مفهومه عند المتأخرين؛ إذ يطلقون على تخصيص العام نسخًا، ويطلقون على تقييد المطلق نسخًا، ويطلقون على بيان المجمل نسخًا، ويطلقون على رفع الحكم بالكليّة نسخًا -كما هو في عرف المتأخرين-، وأما عند المتأخرين فإنه خاصّ بالرفع الكلي للحكم.

وهذا كله يدلنا على عمق الاستدلال لدى الفقيه وصعوبة مسالكه لغير ممارسه، مما لا يتأتّى لأي واعظ غير مشتغلٍ بالعلم أن يتصوَّر المسألة تصوّرًا صحيحًا، أو يصدر حكمًا صحيحًا.

والعلماء كانوا ولا زالوا ينكر بعضهم على بعض، وكذا حال الوعاظ، وقد أنكر إسحاق بن أحمد العلثي على أشهر الوعاظ زمانه وهو ابن الجوزي أمورًا منها بعض كلامه في الوعظ، وكتب له: "وأنا وافدةُ الناس والعلماء والحفاظ إليك، فإما أن تنتهي عن هذه المقالات وتتوب التوبة النصوح كما تاب غيرك، وإلا كشفوا للناس أمرك، وسيَّروا ذلك في البلاد، وبيَّنوا وجه الأقوال الغثة، وَهَذَا أمر تُشُوورِ فِيهِ، وقضِي بليل، وَالأَرْض لا تخلو من قائم لله بحجة... ولو كان لا ينكر من قلّ علمه على من كثر علمه إذًا لتعطَّل الأمر بالمعروف، وصرنا كبني إسرائيل حيث قال تعالى: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ}، بل ينكر المفضول على الفاضل، وينكر الفاجر على الولي"[2].

وهذا التناصح الذي بعثه العلثي حريّ أن يتنبّه له الوعاظ، ويعمَلوا بما فيه، لا أن يتكبّروا أن صدَر الحقُّ ممن هو دونهم، قال ابن رجب: (وكذلك المشائخ والعارفون كانوا يوصون بقبول الحقّ من كل من قال الحق -صغيرا كان أو كبيرا- وينقادون له)[3].

---

(1) ينظر: الآداب الشرعية (2/ 185).

(2) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٤/ ٢٠٦).

(3) ضمن "مجموع رسائل ابن رجب" (ص: ٢٤٥).

وقال ابن رجب: (فلم يزل الناس بخير ما كان فيهم من يقول الحق ويبين أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم التي خالفها من خالفها، وإن كان معذورا مجتهدا مغفورا له، وهذا مما خص الله به هذه الأمة؛ لحفظ دينها الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنها لا تجتمع على ضلالة، بخلاف الأمم السابقة)[1].

كثرة الوعاظ:

مع عظم أمر الوعظ وعناية المتقدمين به والاحتساب على مخالفه إلا أنه كان أوسع وأكثر انتشارًا من دروس العلماء؛ إذ تتلقّفه نفوس العامة، رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ضيق دائرة الوُعاظ، فعن عوف بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يَقُصُّ إلا أميرٌ، أو مأمورٌ، أو مُخْتالٌ**»[2].

فهذا الحديث يدلّ على قَصر مهمّة الوعظ على فئة محددة، وهي إما الأمير أو من يأمره الأمير، ولا شكّ أن شرط العلم لا بد أن يكون متوفّرًا فيهما؛ إلا أن الواقع خلاف ذلك، ولم يزل من أمر الناس أن يكون الوعاظ والقصاص أكثر عددًا من العلماء.

قال ابن عون: "أدركت هذا المسجد مسجدَ البصرة وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه، إلا حلقة واحدة تنسب إلى مسلم بن يسار، وسائر المسجد قصاص"[3].

ولم يزل من أمر الناس كذلك أن يكون شهود الناس لمجالس الوعظ والتذكير أكثر من شهودهم مجالس العلم؛ وذلك (أن العلم مخصوص لقليل، وأن القصص عام لكثير) كما قال أبو

---

(1) ضمن "مجموع رسائل ابن رجب" (ص: ٢٤٦).

(2) أخرجه أبو داود (٣٦٥٥)، وأحمد (٢٣٩٩٢)، قال العراقي في الباعث على الخلاص (٧): "إسناده جيد"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٥٣).

(3) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (58/ 130).

طالب المكي (ت: 386ه)[1]. وربما انتفع العامة بالواعظ الصادق قليلَ العلم ما لا ينتفعون بالعالم الكبير[2].

ومع هذا فإن أمر الدين متين، وفي العلم عصمة عن الوقوع في المهالك، والواعظ إذا كان قليلَ البضاعة في العلم فربما اجترأ على ما لا يحسِنه، وتخوّض بالجهل إلى الفرية على الشريعة بالزيادة فيها والنقص منها، رغبة في جاه أو مال أو صدارة؛ ولذا كثر في كلام جهلة الوعاظ والقصاص الكذب والتهويل، ثم ينفض الناس بعد تصديقهم ومتابعتهم وتصديرهم[3].

قال ابن قتيبة (ت: 276هـ): (ومِن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبًا خارجًا عن نظر العقول، أو كان رقيقًا يحزن القلوب ويستغزر العيون)[4].

وقال أبو الوفاء ابن عقيل (ت: 513هـ): (لو تمسّك الناس بالشرعيات تمسّكهم بالخرافات لاستقامت أمورهم)[5].

عظم أثر الواعظ الفقيه -ابن الجوزي نموذجًا-:

وكان لمجالس الوعظ هذه أثر كبير ونفع بالغ، لا سيما إن كان القائم بها فقيهًا محسنًا لصناعة الوعظ، ولْيَجرِ الحديث حتى يتَّضحَ الحال في وصف مجلس من هذه المجالس الوعظية المشهورة، وهو مجلس أبي الفرج بن الجوزي، فقد كانت مجالسه الوعظيّة في بغداد معلومة ذائعةَ الصيت جدًّا، قال الذهبي: (كان رأسًا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظمَ الرائق، والنثر الفائق بديهًا، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ،

(1) قوت القلوب (1/ 267).
(2) كتاب القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (ص: 174).
(3) انظر: المجالس الفقهية، للرومي (ص: 233-234).
(4) تأويل مختلف الحديث (ص: 404).
(5) ينظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح (3/ 384).

والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن والصوت الطيب والوقع في النفوس وحسن السيرة)[1].

وقال فيه ابن رجب (ت: 795ه): (وحاصل الأمر: أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلّم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون)[2].

وكان الناس يزدحمون في مجالسه حتى يضيق بهم المكان، وربما أخذوا أماكنهم من وقت الضّحى للمجلس بعد العصر، أو ازدحموا من نصف الليل لمجلسه يوم الجمعة، وحضر الخليفة المستضيء (ت: 575ه) مجلسَه غير مرّة، وكان يحبّه ويعجبه وعظُه، حتى قال فيه يومًا: (ما كأنّ هذا الرجل آدميّ!)[3]. وقال فيه الناصح ابن الحنبلي (ت: 634ه): (ولقد كان فيه جمال لأهل بغداد خاصة، وللمسلمين عامة، ولمذهب أحمد منه ما لصخرة المقدس من المقدس، حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدرب دينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة)[4].

ولما وصف الرحالة ابن جبير الأندلسي (ت: 614ه) دخوله بغداد سنة 580هـ ذكر كثرة مجالس الوعظ فيها فقال: (لا جرم أن لهم في طريقةَ الوعظ والتذكير، ومداومة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الإنذار المخوف والتحذير، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحطّ كثيرا من أوزارهم، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم، ويمنع القارعة الصماء أن تحلّ بديارهم)[5]، ثم ذكر شهوده لبعض تلك المجالس، وأفاض في وصفها، فمن ذلك قوله في مجلس ابن الجوزي بعد أن وصفه وصفًا مفصَّلًا: (فشاهدنا هولًا يملأ النفوس إنابةً وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة،

---

(1) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(2) الذيل على طبقات الحنابلة (2/ 480).

(3) ينظر: المنتظم، لابن الجوزي (18/ 230)، وانظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (2/ 469-480).

(4) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (2/ 482).

(5) رحلة ابن جبير (ص: 194).

فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن منّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله. وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا إله سواه)[1]. ثم شهد له مجلسًا آخر بباب بدر في ساحة قصر الخليفة، فوصفه وصفَ المدهوش به، ثم قال: (وما كنّا نحسِب أن متكلّمًا في الدنيا يُعطَى من مَلكة النفوس والتلاعب بها ما أُعطِي هذا الرجل الذي يضيق الوجود عن مثله، فسبحان مَن يخصّ بالكلام مَن يشاء مِن عباده لا إله غيره. وشاهدنا بعد ذلك مجالسَ لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه، بالإضافة إلى ما عهدناه من متكلمي الغرب. وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة – شرّفها الله– مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد، فصغرت بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذّ في نفوسنا قدرا، ولم نستطب لها ذكرًا. وأين تقعان مما أريد؟! وشتان بين اليزيدين وهيهات! الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير)[2].

وكان من أثر مواعظ ابن الجوزي أن بقيَ الناس ينتفعون بها ويقرؤها العلماء والوعاظ في مجالسهم، فمن ذلك أن أبا الحسن علي بن محمد بن فرحون (ت: 746ه) كان له ميعاد وعظ كلّ جمعة بعد الصلاة على كرسي عال بالروضة الشريفة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقرأ من كلام ابن الجوزي في كتابه التبصرة، فكان بعض الناس يقول: عاش ابن الجوزي للناس[3].

علاقة تفشّي ظاهرة الوعظ بالضعف العلمي:

---

(1) رحلة ابن جبير (ص: 198).

(2) رحلة ابن جبير (ص: 200).

(3) ينظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي (3/ 254)، وانظر أيضًا: معيد النّعم، ابن السبكي (ص: 114)، المجالس الفقهية للرومي (ص: 239-241).

الإكثار من الوعظ وتفشي ظاهرة الوعاظ سببٌ في تقهقر الوعي الشرعي وتردّي الإنتاج العلمي، خصوصًا إذا استقلّت فئة خاصة بهذا الفن، وأغرقت الفضاء العامّ بكم هائل من المحاضرات التي تحمل نفس العناوين، وتردّد ذات الموضوعات بلغة إنشائية مكرّرة مملة هزيلة، لا تثري ولا تضيف أيّ قيمة، بل تسهم في صرف عامّة الناس عن التكوين العلمي الجاد، ويظن المتلقي البسيط وهو يتعرّض لهذا الزخم الهائل أنه على شيء، بينما أمره كلّه في هزال، وفي ذلك يقول أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي: (ما أمات العلمَ إلا الوعاظُ والقصاص، يجالس الرجلُ الرجلَ سنةً فلا يتعلّق منه شيء، ويجلس إلى العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه شيء)[1]، أي: أن الاستماع للوعاظ لمدّة سنة لا يغني عن شيء، بينما مجالسة العلماء ولو لساعة لا بد أن يفيد بشيء.

وقال ابن الجوزي: "أكثر كلام الواعظ الرقائق، فإذا تشاغل الإنسان بسماعها عن الفقه قلّ علمه"[2].

لأجل ذلك واجه العلماء منذ القدَم مهنة الوعظ، ورفضوا إفرادها في فنّ مستقل خارج الأطُر العلمية المعتبرة، فألِّفت في التصدي لهذه الظاهرة المزعجة مؤلفاتٌ عدّة، منها: (تلبيس إبليس) و(القصّاص والمذكرون) للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، ورسالة (أحاديث القصاص) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(الباعث على الخلاص من حوادث القصاص) للحافظ عبد الرحيم العراقي، و(تحذير الخواص من أكاذيب القصّاص) للسيوطي، وغيرها[3].

ختامًا: في مجالس الوعظ ترقيق للقلوب وتزكية للنفوس وزيادة في الإيمان، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (كان ابن رواحةَ رضي الله عنه يأخذ بيدي ويقول: تعال نؤمن ساعة؛ إن القلب

---

(1) ينظر: كتاب القصاص والمذكرين (ص: 353).

(2) كتاب القصاص والمذكرين (ص: 354).

(3) مقال: الوعظ.. المهنة المحتقرة في التراث الإسلامي، للرشيد، منشور في صحيفة عكاظ، عام 2016م.

أسرع تقلّبًا من القِدر إذا استجمعت غيلانًا)[1]، وقال عون بن عبد الله (ت: 110هـ): (مجالس الذكر شفاء القلوب)[2]، وقال بشر بن منصور (ت: 180ه): (رأيت من يأتي الفقهاء والقصاص أرقّ قلبًا ممن لا يأتي القصاص)[3].

وذلك أنّ الموعظة تذكّر المرء بالحالة التي هو عليها من سرعة تقلب الدنيا وانقضاء أجلها، ودوام الآخرة وبقائها، وأن محلّه من السعادة والشقاء هنالك بقدر اعتصامه بالشريعة وصيانته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا، والمرء لا يكون مؤمنًا إلا بالتصديق بذلك، غير أن ما يلتبس به الإنسان ويعافسه من أمر الدنيا يذهله عن دوام استحضاره.

كما أنّ في مجالس الذكر استصلاحًا لأحوال الناس في دينهم ودنياهم، فإن من العلم ما لا ينتفع به صاحبه إلا بشيء من حرارة الموعظة، وربما عرف المرء المسألة فحجبه عن الأخذ بها غلوّ أو جفاء، حتى يعود بذلك مفتقرًا إلى تذكير وعِظة تردّه إلى الاعتدال الذي هو سمت الشريعة وقانونها، فمن العِظة في الغلو ما جاء عن الإمام أحمد من أن رجلًا شكا إليه الوسوسة، فقال له: عليك بالقصّاص، ما أنفع مجالسهم![4].

والحمد لله رب العالمين.

---

(1) ينظر: الزهد، لابن المبارك (2/ 820).

(2) ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم (4/ 241).

(3) ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم (6/ 241).

(4) ينظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح (2/ 180)، وانظر: المجالس الفقهية للرومي (ص: 242-243).